

بسم الله الرحمن الرحيم التعددية السياسية في الإسلام^١

التعددية السياسية ظاهرة فطرية في المجتمعات الإنسانية، لأن الأفراد يولدون في بيئات حياتية متغيرة تؤثر على تكوينهم السياسي الذي تشكله ثلاثة عوامل وهي:

١- العقيدة: الدين...

٢- المفاهيم: بالتعلم والتجربة والموروث...

٣- الحاجات: الإنسان أسير حاجته.

وبسبب تباين الناس في هذه العوامل فإن أي إقصاء أو تجاوز للتعددية السياسية في بناء الدولة ومجتمعها المدني هو خيانة انتمائية باهظة الثمن، لأن انتظام الناس في جماعات تبلور تكوينهم السياسي مهم وضروري " حتى لا تكون آرائهم في التشريع عرضة للصدفة وغير مستندة إلى مذهب معين من مذاهب السياسة، مما يترتب عليه تشريع ميت لا روح فيه ولا اتصال بين أجزائه وبعيداً عن الأثر المحمود في الأمة، فالأفكار الجديدة في المجتمع لا تظهر اعتباطاً وإنما تولدها الاستجابة لتحديات حركة التاريخ .. وبقدر حرية التنافس لهذه الأفكار في التعبير عن تطلعات الأمة، ونقل مجتمعاتها إلى مراحل أكثر تقدماً، بقدر ما تكتسب الأمة القيادة الأفضل لمسيرتها ويكتب لها الصمود في وجه الأمم المعادية والانتصار عليها "^٢.

هذا وقد أقرت السنة النبوية بالتعدد السياسي في المجتمع الإسلامي، ووضعت الآليات اللازمة للتعايش السلمي بين طوائف المسلمين الملتقية في العقيدة والمتعددة في مفاهيمها واحتياجاتها. وذلك بتعامل الرسول صلى الله عليه وسلم بعد قدومه إلى المدينة المنورة مع ساكنيها من المسلمين علي أساس التعدد السياسي لطوائفهم، فرغم التركيز على أنهم أمة واحدة دون الناس علي أساس العقيدة، إلا أنه أرسى تنظيمياً إدارياً يعتمد علي التعدد، وهذا نجده واضحاً في كتابه بين المهاجرين والأنصار الذي أورده ابن هشام^٣، والذي قسم المسلمين بحسب البيوت

^١ / من كتاب الشورى في إدارة المجتمع المسلم وسياسته، ويمكن إنزاله من صفحة كتب من نفس الموقع: www.islamshoora.com

^٢ / الفكر الثوري في مصر: د. عبد العظيم رمضان. بتصرف

^٣ / سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٤٧

والأفخاذ لتسهيل الإدارة السياسية لمجتمع الدولة الوليدة. وقد امتد التعدد في المدينة حتى مع اليهود المختلفين مع المسلمين في العقيدة والملتقين معهم في الحاجة لتأمين المدينة كوطن من الغزو الخارجي، ففي نفس الكتاب أورد ابن هشام " يهود بني عوف أمة مع المؤمنين لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يُوتغ [يهلك] إلا نفسه وأهل بيته وإن لليهود بني النجار مثل ما لليهود بني عوف " ثم يستمر الكتاب في سرد بيوت اليهود إلى أن يقول " .. وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة "، وفي هذا دلالة واضحة على إقرار السنة النبوية للتعددية السياسية في المجتمع المسلم.

وبدوره أقر القرآن الكريم التعددية السياسية في المجتمع الإسلامي وأشار إلى وحدتها بالطوائف في قوله تعالى: [وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَت إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ]]^٢. لاحظ اقتتلوا وليس اختلفوا لأن الاختلاف السياسي بين طوائف المسلمين وارد، وجعل الإسلام الشورى فيصلا لمسائله قال تعالى: [وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ]]^٣، وتعني أن إمارة المسلمين شورى بينهم.

عليه فالتعددية السياسية نافعة ولازمة رغم بقاء الناس مختلفين، لأن في هذا الاختلاف ثروة - من الأفكار والأعراف والأذواق - عرف الإسلام كيف ينظمها ويجعلها أولى لبنات بيئته السياسية الصالحة للوصول لأهداف الشورى المتلخصة في وحدة الأمة واكتسابها عقل جمعي.. وذلك لتكون الأمة الأقدر على قيادة العالم بكل تنوعه الثقافي والعنقي والجغرافي في مرونة تتيح أكبر قدر من الاستيعاب للعوامل المتشابكة في المجتمع الإسلامي وعلى رأسها هدي نصوص الكتاب والسنة، لأن النصوص والسنن لا تقوم بذاتها بل تقوم بمن يعلمها ويفهمها ويختار بينها. وهذه الخصائص - من علم وفهم واختيار - جعلها الإسلام للأمة بما انطوت عليه من تعدد سياسي فهي التي تأتمر وهي المسؤولة عن خطأ وصواب

٤ / سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٤٩
٢ / سورة الحجرات الآية ٩
١ / الشورى ٣٨.

اختيارها حيث اتفقت وائتمرت بالشورى، فحقها تام وتبعثها تامة في تناسق لا
يحتاج إلى هيئة في الطليعة من الأخبار والكهان تهدي أو تضل فيتبعها من يليها.

والله ولي التوفيق

محمد مكي عثمان أزرق

www.islamshoora.com